مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٩)، العدد (٣)، ص ص ١١٤١-١١٨٦، (رجب ١٤٣٧هـ/ إبريل ٢٠١٦)

الفاءُ الفصيحةُ .. مُحدِّداتها ووظائفُها النصِّية
(النصُّ القرآنيُّ نُموذجا)

د. أحمد حمودة موسى
الأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بينبع جامعة طيبة
مدرس النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

ملخص البحث. يعالج هذا البحث نوعا من الفاءات كثير الورود في نصوص اللغة؛ هو الفاء الفصيحة، ويقدم اجتهادا في تحرير ما يتصل بها من الفاءات على المستوى المفهومي والمستوى الوظيفي، مجيبا عن سؤالين مكتنزين: ما الفاء الفصيحة؟ وما قيمتها في النص العربي؟

ومن خلال مبحثه الأول يقدم البحث رؤية لتعريف هذه الفاء، ووجه تسميتها، وموقعها بين الفاءات العربية، وعلاقتها بما يقاربها من أنواع الفاء الأخرى؛ فاء جواب الشرط والسببية والتفريعية، كما يقدم رأيا في تنازع نسبة هذه الفاء بين الدرسين النحوي والبلاغي مرجحا أولوية الأخير.

وفي المبحث الثاني يستكشف البحث الأدوار الوظيفية للفاء الفصيحة في النص – من خلال التطبيق على القرآن الكريم – مستنتجا أن لها وظيفتين نصيتين أساسيتين هما السبك وتحقيق الاقتصاد، إلى جوار بعض الوظائف السياقية المتنوعة؛ كالدلالة على السرعة، والمفاجأة، وتأكيد وقوع المحذوف، وإلزام المتلقي بما بعدها، وتوجيه النظر إلى المذكور لأنه الأهم.

الكلمات المفتاحية: الفاء – الفصيحة – القرآن – الاقتصاد – السبك – النص – السياق

مقدمة

لا يزال البحثُ في "حروف المعاني" يكشف عن مساحاتٍ من النظر متداخلةٍ يُعْوِزُها التحريرُ والتنوير، وذلك لتشعُّب مسائل هذا الباب وكثرةِ ما يتخرَّج فيه من الفروع واختلاطِ كثير من حدوده وعلاقاته، ولعل مردَّ هذا إلى كثرةِ حروف المعاني نفسها وشيوعِها الاستعمالي وحيويّتِها الدلالية المرتبطة بالحركة الدلالية للّغةِ التي لا تكفُّ مطلقا عن النشاط؛ تشقيقًا للأنواع وتقارُضا بينها وتصرفًا في وجوه دلالتها.

وإذا كان الفراءُ قد قال "أموتُ وفي نفسي شيءٌ من (حتى)"(١) فلعلّ (الفاء) بهذا "الشيء" أخلقُ؛ فما يزال النحاةُ يموتون وفي نفوسهم منها أشياء؛ "فإن بابَ الفاء بابٌ صعب متداخلٌ يصعُبُ تحصيله إلا بعد التهذيب"(٢).

ومن أنواع الفاءات التي يتردّد كثيرا ذكرُها في كتب النحاة والبلاغيين
-والمفسّرين خاصةً -على غير تحرير مُرضٍ= الفاءُ الفصيحة، ومقصدُ هذه الدارسةِ استكشافُ محدِّداتها ودلالاتها وموقعِها بين سائرِ الفاءات وأدوارِها الوظيفية في النصوص العربية وبخاصة القرآن الكريم.

وقد اخترتُ للتطبيق النصَّ القرآني لوفْرة شواهدِ الفاء الفصيحة فيه، وتجانسِها باعتباره نصًّا كبيرا واحدا، واهتمامِ بعضِ المفسرين بتتبع موارد هذه الفاء فيه والتنبيه عليها.

---

(١) انظر: المرزباني ٣٠١، والقفطي ٤/١٥.

(٢) المالقي ٤٤٣.

المبحث الأول: المحدِّدات المفهومية للفاء الفصيحة

ونتناول في هذا المبحث مسائلَ تسمية الفاء الفصيحة وتعريفها وتصنيفها وموقعها في خريطة الفاءات اللغوية وعلاقاتها بغيرها من الفاءات، وذلك من خلال المباحث التفصيلية الآتية:

أولا: اسمها ووجه تسميتها.

يطلق على هذه الفاء: الفاء الفصيحة (بالوصف) أو فاء الفصيحة (بالإضافة).

و(الفصيحة) على الوجه الأول فَعِيل بمعنى فاعل، أي: الفاء المفصِحة. وقد يتخرّج هذا الوجه على المجاز العقليّ بأن يكون الوصفُ لفاعلِ التكلُّم بالفاء لا لها، على سبيل قوله تعالى چھ ہچ الحاقة:٢١ و چڦ ڦچ الطارق:٦.

ويتخرّج الوجهُ الثاني - الإضافة - على حذف المضاف إليه وإقامة صفته مُقامَه، والتقدير: فاء الفئة أو الطبقة أو العبارة الفصيحة؛ وذلك على غرار ما يذكره النحاة في نحو: حبة الحمقاء وصلاة الأُولى ودار الآخرة، من أنّ تأويلَها: حبة البقلة الحمقاء وصلاة الساعة الأولى ودار الحياة الآخرة(٣). نعم؛ الوجه الأول أولى لخلوّه من الحذف والتقدير.

أما سببُ تسمية هذه الفاء فقد ذكر العلماء فيه وجوها(٤):

فقيل: سميت فصيحةً لإفصاحها عن محذوف مقدَّر ودلالتها عليه.

وقيل: لفصاحة الكلام الذي دخلت فيه.

وقيل: لكون قائلها فصيحا. ورجّحه السيوطي؛ قال "والأَولى أنَّ علةَ التسمية اختصاصُها بكلام الفصحاء، وفي الحاشية للقطب (٥)"... سُمّيت فصيحةً لأنه يُستدل بها على فصاحة المتكلم"(٦).

---

(٣) انظر مثلا: الزمخشري (ب) ١٢٣، وابن الأنباري ٣٥٧/٢، وابن عقيل ٤٩/٣.

(٤) انظرها مجتمعةً في: الشريف الجرجاني ٣٧٩، والطيبي (أ) ٧٣. وانظرها متفرقةً في: الشهاب ١٦٢/٢ وما بعدها، والسيوطي ٢٤٥/٢، وحقي ٣٠/٣، وابن عاشور ٥٥٦/١.

(٥) الذي تحقّق عندي أنّه يعني القطب التحتاني أبا عبد الله الرازي (ت٧٦٦) – وهو غيرُ الإمام الفخر– في حاشيته على الكشاف (بعضها مخطوط وبعضها مفقود).

وقيل: سُميت كذلك لكونها مفيدةً معنى بديعا أو واقعة موقعا حسنا بحيث يظهر المعنى بسبب دخولها.

ثانيا: تعريف الفاء الفصيحة وصورة المحذوف الذي تُنبئ عنه.

اختلف أهل العلم في حدِّ الفاء الفصيحة؛ هل هي واقعةٌ في جواب شرط محذوف أو عاطفةٌ على مقدَّر. وقد لخّص الشهابُ الخفاجيُّ مذاهبَهم؛ قال "وهل هي جواب شرط مقدر أو عَطْفٌ على محذوف أو هما جائزان؟ طرقٌ لهم، وعلى الأخير أكثرون"(٧).

وقد نظر أربابُ المذهب الأول إلى قوة معنى "السببية" في الفاء الفصيحة وصحةِ تقدير شرط قبلها في أكثر مواضعها، لكنّ طرْدَ هذا الوجه من التقدير أخرجهم إلى تأويلاتٍ ضعيفة لبعض التراكيب، كتقديرهم في قوله تعالى چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ البقرة:٦٠: "فإنْ ضربت فقد انفجرت"(٨)، وضعفُ مثله لا يخفى.

ونَظرَ أصحاب المذهب الثاني إلى ما جاء من القرآن وكلام العرب مما عَطَفت فيه الفاء الفصيحة على محذوف غيرِ شرط – كما سيأتي-، وهو ظاهرُ مذهب السكاكي(٩)؛ واختاره ابن عاشور فقال "ومعنى فاء الفصيحة أنها الفاءُ العاطفة إذا لم يصلح المذكورُ بعدها لِأن يكون معطوفا على المذكور قبلها فيتعين تقديرُ معطوف آخر بينهما يكون ما بعد الفاء معطوفا عليه، وهذه طريقة السكاكي فيها، وهي المثلى"(١٠).

أمّا ما عليه الأكثرون فهو احتمالُ الفصيحة للوجهين كما تقدّم. قال ابن عاشور "وقيل: إنها التي تدلّ على محذوف قبلها؛ فإن كان شرطا

---

(٦) السيوطي ٢/٢٤٥.

(٧) الشهاب ٢/١٦٥.

(٨) انظر مثلا: الزمخشري (أ) ١/١٤٤، والبيضاوي ١/٨٣. وقد ردّ هذا القولَ جماعةٌ؛ منهم أبو حيان ١/٣٦٨، وأبو السعود ١/١١٦، وابن عاشور ١/٥١٩.

(٩) انظر تخريجَه شواهد الفاء الفصيحة على العطف: ٢٧٨

(١٠) ابن عاشور ١/٥١٨-٥١٩.

فالفاء فاء الجواب وإن كان مفردا فالفاء عاطفة، ويشملهما اسمُ فاء الفصيحة. وهذه طريقة الجمهور على الوجهين"(١١).

وطريقةُ الجمهور المذكورة هذه هي الأرجح عندي، إذا قيّدنا وجهَيها بالضابط الذي أشار إليه أبو البقاء الكفوي وهو "أن يكون المحذوف سببا للمذكور"(١٢)، فتصير الفاء الفصيحة "متعلقة بسبب محذوف"(١٣) على أية حال.

ويبرد في اليد مما هاهنا أنّ الحدَّ المحرَّر للفاء الفصيحة: "**فاءٌ تُنبئُ عن محذوفٍ مقدَّرٍ فيه معنى السببية، سواءٌ أكان شرطا أم لا**".

وبيانُ ذلك أنّ تأويلَ المحذوف(١٤) الذي تنبئ عنه الفاء لا يكون شرطا ضربة لازب، وإنما يرِد على صورتين،لم أر شيئا من الأمثلة خرج عنهما:

- الأولى: ما يصحّ فيه تقدير الشرط - وهو الأكثر-: كقوله تعالى چ ڤ ڤ ڤ ڤچ آل عمران:١٤٣، والتقدير: إن كان تمنّيكم الموتَ حقا فقد رأيتموه...، ومنه أيضا قوله تعالى چ ۈ ۇ ٴ ۋ ۋ ۅ ۅچ النساء:٣٣ ، والتقدير: إذا تقرر ذلك فأتوهم نصيبهم، ومنه كذلك قوله عز وجل چے ۓ ۓ ڭ چ الروم:٥٦، والتقدير: إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث. ونظائر ذلك في القرآن الكريم وافرة.

---

(١١) ابن عاشور ٥١٩/١. ومعنى قوله "إن كان مفردا" أي مجردا عن الشرطيّة، وإلّا فإنّ هذا المعطوفَ عليه المحذوفَ لم يُقدَّر إلا جملةً كما مثّل ابنُ عاشور نفسُه هاهنا فقال "والتقدير في مثل هذا: فضرب فانفجرت" ابن عاشور ٥١٩/١..

(١٢) الكفوي ١٦٥٠.

(١٣) الشريف الجرجاني ٣٧٩، وانظر: أبو السعود ٢٠٣/٣، والسيوطي ٢٤٥/٢.

(١٤) عامّة تقديرات عبارة الفاء الفصيحة التي أذكرها في هذه الدراسة لا يخرج عن ما أورده ابن عاشور والشهاب وأبي السعود والألوسي — وهم أعنى المفسرين برصد شواهد الفاء الفصيحة – ما لم أذكرْخلاف ذلك. وأنا أجتزئ بهذا التنبيه العام تخفيفا للهوامش وتيسيرا على المتابِع.

- الثانية: ما يُقدّر المحذوف فيه معطوفا عليه: كقوله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ البقرة:٦٠، والتقدير: فضرب فانفجرت، وقوله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ البقرة:٧١ ، والتقدير: فظفروا بها فذبحوها، ومنه قوله جل وعلا ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ طه:٧٨ ، والتقدير: فسرى بهم موسى وضرب لهم طريقا في البحر يبسا فأتبعهم فرعون.

والرابط بين هاتين الصورتين لعبارة المحذوف المقدر اشتمالُهما جميعا على معنى التسبيب لما بعد الفاء.

وثمّ صورة ثالثة ذكرها بعض المفسرين ولم يضربوا لها مثلا(١٥) هي: ما يُقدر المحذوف فيه طلبا؛ أمرا أو نهيا. ورأيي أنّ ما يحتملُ هذه الصورةَ يصحُّ إرجاعُه إلى الصورة الأولى؛ فلو قدّرنا مثلا في قوله تعالى ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ النساء:١٥٣: فلا تعجب فقد سألوا...= فإنه يصح كذلك أنْ نجعل التقدير: إنْ يسألوك فقد سألوا...، ولو قدّرنا في قوله تعالى ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ الشرح:٥ : لا تيأس فإنّ مع العسر يسرا= فإنه يصح كذلك أنْ نجعل التقدير: إنْ يصبك عسرٌ فإنّ مع العسر يسرا. وهكذا.

وآفةُ صورة تقدير الطلب هذه – مع ندرة ما يصلح أن يتخرّج عليها - أنّ اتجاه السببية فيها يكون معكوسا، ويكون ما بعد الفاء هو السبب في المحذوف المقدر، وهذا يخلّ بالتصوّر المستقرّ لاتجاه علاقة التسبيب في هذا الأسلوب مع غَناء صورة الشرط كما مرّ.

ثالثا: موقع الفاء الفصيحة بين الفاءات.

يذكر جماعةُ المصنفين في حروف المعاني أنّ "أصول أقسام الفاء ثلاثة: عاطفة وجوابية وزائدة"(١٦)، وإليها ترجع كل أنواع الفاء في العربيّة وتندرج تحتها؛ كالاستئنافية والتفريعية والسببية الناصبة ومحسِّنة اللفظ وغيرها.

بيد أنّ الأمر مع الفاء الفصيحة يختلف - ربما لأنها ليست ذات طبيعة نحوية بالأساس كما سيأتي-، فهي لا تندرج في تصنيفٍ رأسي منطقي تحت أحد تلك الأصول الثلاثة كسائر الفاءات، وإنما تمتدّ أفقيا

---

(١٥) انظر: السيوطي ٢٥٣/٣، والألوسي ٢٧٥/٣.

(١٦) المرادي ٦١، والرماني ٤٣، وابن هشام ٤٧٦/٢، وما بعدها، والمالقي ٤٤٠ وما بعدها.

بصورةٍ تخترق حدود الأقسام النحوية مشكِّلةً قطاعا عرضيا متجانسا ذا خصوصية، يستبينُهُ تحديدُ تقاطعاتها الماصدقية مع أصول أقسام الفاء المذكورة:

فأما الفاء الجوابية فتكونها فاءُ الفصيحة حين يُقدَّر المحذوفُ معها شرطا، على أنّ جوابيّةَ فاء الفصيحة ليست صناعيةً تسري عليها الضوابط النحوية وإنما هي أشبَهُ بجوابيةٍ دلاليةٍ كما سيأتي في التفريق بين الفصيحة وفاء جواب الشرط.

وأما الفاء العاطفة فتنتسب إليها فاء الفصيحة حين يقدَّر المحذوف قبلها معطوفا عليه، غيرَ أنها تختصُّ بعطف الجمل كما سيأتي في التفريق بين الفصيحة والسببية.

أما الفاء الزائدة فلا تتقاطع الفصيحة معها، ولا تكونُ الفصيحةُ زائدةً مطلقا على التحقيق.

-وسنحاول من خلال المباحث التالية فضَّ اشتباكات المفهوم بين الفاء الفصيحة وبعضِ أنواع الفاءات الفرعية.

رابعا: بين فاء الفصيحة وفاء جواب الشرط.

قد يُسرع الظنُّ إلى أنّ الفاء الفصيحة هي فاء جواب الشرط، وقد يُفهَم هذا من بعض عبارات المتقدِّمين، ولا سيَّما أنَّ منهم من يرى الفاء الفصيحة واقعةً دائما في جواب شرط محذوف، كما تقدَّم.

وليس الأمرُ على التحقيق كذلك، بل بين الفاءين مباينةٌ واضحة؛ وذلك من وجهين؛ الأول جليٌّ والثاني خفيٌّ لطيف:

الوجه الأول:

أنّ فاء الفصيحة لا تقع جوابية بإطلاقٍ - كما مر- بل ربما وقعت عاطفةً، كما في الأمثلة المسوقة قبلُ، ونحوُها قوله تعالى ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ البقرة:١٨٤، والتقدير: فأفطر فعدّة...، وقوله جلّ ذكره ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼالقصص:١٢، والتقدير: فأظهرت أختُه نفسها فقالت...

الوجه الثاني:

أنّها - حتى حين تكون جوابيةً مُنبئةً عن شرط محذوف- لا تكون فاء جواب شرط؛ وذلك أن معنى الجوابية في فاء الفصيحة مختلف؛ فهي

جوابيةٌ معنويةٌ غير صناعية، والشرطُ معها لا يُعدُّ شرطا صناعيا تجري معه الرسوم النحوية للشرط.

ولخفاء هذا الوجه ودقتِه نضرب له هاهنا مَثَلا تظهر فيه ثمرةُ التفريق بين الفاءين:

في قوله تعالى ﭽ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﭼ البقرة:٨٠ ، ذكر جماعة من المفسرين[١٧] أنّ ثمة شرطا محذوفا دلت عليه فاء الفصيحة، والتقدير: إن كنتم اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده.

وقد أورد الشهابُ الخفاجيُّ - نقلا عن التفتازانيّ[١٨] - والألوسيُّ اعتراضا على صحة هذا التقدير؛ هو أنه "لا يصح جَعلُ ﭽ ک ک ک ک ﭼ جزاءً لامتناع السببية والترتب لكون (لن) لمحض الاستقبال"[١٩]، أي أننا لو حملنا هذا الموضع على الشرط وما يقتضيه من الترتب والعلية المنطقية بين جُزْأيه لكان المعنى أن الله لن يخلف العهد في المستقبل فقط أو أنّ إيفاءَه مترتبٌ على اتخاذهم العهدَ ومعلّل به وليس مطلقا. وهذا معنى فاسد، فالترتُّبُ هنا ممتنع من جهة الدلالة.

وقد ردّ الرجلان – التفتازانيُ والألوسي- هذا الاعتراضَ بأنَّ "ذلك ليس بلازم في الفاء الفصيحة، كقوله:

قالوا خراسان أقصى مايراد بنا ثُم القفول فقد جئنا خراسانا"[٢٠].

أي أنّ اللازمَ الصناعيّ المذكور الذي قام عليه الاعتراضُ (وهو الترتبُ العِلّي بين جزئي أسلوب الشرط) لا يلزم مع الفاء الفصيحة؛ ففي هذا البيت المذكور -الشهير في باب فاء الفصيحة -تقديرُ عبارة الفاء: (إن كان القفول متوقفا

(١٧) انظر مثلا: الزمخشري (أ) ١/١٥٨، والطيبي (ب) ١/٥٦٧، والبيضاوي ١/٩٠.

(١٨) يقول الشهاب "قال المحقق"، وقد تبيّنتُ من تتبُّع هذا الوصف على امتداد الحاشية أنّ مقصودَه السعدُ التفتازاني؛ ولم أجد هذا النقل في المطوّل ولا المختصر، وأكبر الظنّ أنّه في حاشية السعد (المخطوطة) على الكشاف.

(١٩) انظر: الشهاب ٢/١٩١، والألوسي ١/ ٣٠٤.

(٢٠) الشهاب ٢/١٩١، والألوسي ١/ ٣٠٤.

على مجيء خراسان فقد جئنا خراسان)، ولا نزاعَ في أنّ المجيءَ ليس مترتبا على كون القُفول متوقفا على المجيء. هذا لغوٌ لا يصحّ.

ومن ثَمّ ذكر الألوسي أن هذا الوجهَ من الجواب "مبني على أن الفاء الفصيحة لا تنافي تقدير الشرط وأنها تفيد كون مدخولها مسبَّبا عن المحذوف سواء ترتَّب عليه أو تأخّر لتوقفه على أمر آخر، بدليل أن قوله (فقد جئنا خراسانا) عَلَمٌ عندهم في الفصيحة مع كونه بتقدير الشرط وعدم الترتب، كما في شرح المفتاح الشريفي[٢١]"[٢٢].

فأصلُ الاعتراض المذكور (أي دعوى فسادِ جعلِ جملة "لن" جزاءً) الذهابُ بالفاء إلى أنها لجزاء الشرط، ومبنى الجواب - كما يذكر الألوسي هاهنا - أنّ اعتبارَ الفاء فصيحةً يرفعُ الإشكال؛ إذ هي - من جهةٍ - جوابيةٌ لا تنافي تقدير الشرط، ثم هي - من جهة أخرى - لا تساوي فاء جواب الشرط، فليست جوابيَّتها هذه صناعية، ولا يكون أسلوبُ الشرط معها صناعيا، ولهذا لا تلزم معها اللوازم المذكورة. وبهذا يستقيم تقديرُ الشرط في الآية وتتجه دلالتُه، مع السلامة من حرج خرق القاعدة النحوية، ونستفيدُ نحن هاهنا استبانةَ الفرقِ في "الجوابية" بين فاء الفصيحة وفاء جواب الشرط.

وبتقرير الاختلاف بين الفاءين يمكننا حلُّ بعض الإشكالات في مواضعَ أخرى مختلفة، كما في نحو قوله تعالى چگ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ٹچ البقرة:٥٤، فقد ذكر المفسرون في قوله تعالى "فتاب عليكم" وجهين:

الأول: أن يكون الكلام لموسى عليه السلام، وما بعدَ فاء الفصيحة جوابٌ لشرط محذوف، والتقدير: فإن فعلتم فقد تاب...

الثاني: أن يكون خطابا من الله تعالى على جهة الالتفات، فيكون المحذوفُ قبل فاء الفصيحة معطوفا عليه لا شرطا، والتقدير: ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب (الله) عليكم.

---

(٢١) يعني: المصباح في شرح المفتاح للشريف الجرجاني. انظره ٣٧٨-٣٧٩.

(٢٢) الألوسي ١/٣٠٥.

وإذا كان بعض المفسِّرين قد ذكر الوجهين من دون ترجيح[٢٣] فإن منهم من رجح الوجه الثاني - العطف[٢٤] - مستضعفا تقديرَ الشرط مع الفاء الفصيحة لِعِلَّتين؛ الأولى: عدم وجود (قد) قبل الفعل الماضي (تاب) - ووجودُها شرطٌ لصحة وقوعِه جوابا - والثانية: أننا إذا احتَلْنا فقدَّرنا العبارة مثلا (فإن فعلتم يَتب عليكم) خرجنا إلى "حذف في الكلام غير واضح القرينة" لما فيه من استقبال، "ولأنه يعرِّي هذه الآية عن محل النعمة المذكَّر به"[٢٥] وهو حصول التوبة فعلا كما يدل عليه الماضي "تاب".

وأصل هذا الاعتراض غياب (قد) قبل الفعل الماضي في جواب الشرط كما هو بيّن، وقد ذكر الشريف أن السكاكي "اختار في الآيتين [يعني "فتاب" و"فانفجرت"] العطفَ لقلة التقدير ولأن الفاء الجزائية لا تدخل على الماضي المتصرف إلا مع لفظة (قد)، وإضمارُها ضعيف"[٢٦].

وبناءً على هذا اختار هؤلاء أن يكون الكلامُ على الالتفات كما تقدَّم تقديره، ولا يخفى ما في اعتبار الالتفات هاهنا من تَعسُّفٍ وبُعد.

وعندي أنه لا ضرورة بنا إلى قبول هذا الوجه الضعيف من العطف القائمِ على الالتفات في الكلام المحذوف= فضلا عن ترجيحه، وقد ذكر الشهاب أن "الالتفات في المقدَّر لا وجه له"[٢٧]. ودوننا ذلك الوجهَ الأولَ القريب السائغ من جهة دلالته، وأما تعليلُ رفضه بغياب (قد) فيمكننا تجاوزه إذا اعتبرنا فاء الفصيحة معادلا نصّيا للشرط المحذوف، ويكون التقدير (إن فعلتم تاب عليكم)، كأن الفاء كانت تنوب عن الشرط المحذوف لتدل عليه وإنما أفصحت عن وجود حذف في الكلام، وهذا مما يحتمله وصف "الفصيحة"، قال إسماعيل حقي "فصيحة تفصح أن الكلام

---

(٢٣) انظر: الزمخشري (أ) ١٤٠/١، والبيضاوي ١٨١/١. وانظر: التفتازاني ١٦٤ عن قوله تعالى "فانفجرت".

(٢٤) انظر مثلا: السكاكي ٢٧٨، والألوسي ٢٧١/١، وابن عاشور ٥٠٥/١.

(٢٥) ابن عاشور ٥٠٥/١.

(٢٦) الشريف الجرجاني ٣٧٨.

(٢٧) الشهاب ١٦٢/٢.

مبني على اعتبار الحذف"[٢٨] أو "عن كون الكلام مشتملا على الحذف"[٢٩].

ويرجح هذا التخريجَ ما تقدّم تقريرُه من اختلاف معنى الترتّب الجوابي بين فاء الفصيحة وفاء جواب الشرط، وهو ما يعني إمكانَ الاختلاف بينهما في أشياء أخرى ونشوزَ الفصيحة عن حدِّ فاء جواب الشرط بعموم.

بقي أن نسجل بعقيب تناول هاتين الآيتين - "فلن يخلف الله وعده"، "فتاب عليكم" - أنّ بعض المفسرين إنما كان يفرُّ هاهنا من تقدير الشرط - مع وجاهته وقرب معنى الكلام عليه - بسبب قيوده النحوية الصناعية، لكنّ خروجَ فاء الفصيحة عن هذه الرسوم هو ما سمح بالاستفادة من دلالات الترتّب الشرطي من دون تلك القيود.

---

(٢٨) حقي ٣/٣٠.

(٢٩) حقي ٤/٦٧.

خامسا: بين فاء الفصيحة وفاء السببية.

أ) التفريق بين معنى السببية وفاء السببية الاصطلاحية:

أما معنى السببية فهو عامٌّ يُقصد به وجود نوع ترتّب بين ما بعد الفاء وما قبلها، وهو الذي يقال لأجله: الفاء هنا للسببية أو فيها معنى السببية.

وإذا استثنينا الفاء الزائدة "التي دخولها في الكلام كخروجها"(٣٠) فإن معنى السببية قويٌّ في باب الفاء يكاد يستولي على جميعه؛ "أما الفاء الجوابية فمعناها الربط وتلازمها السببية"(٣١) وأما العاطفة فـ"إنْ عطفت جملة أو صفة دلت على السببية غالبا"(٣٢).

وأما فاء السببية الاصطلاحية فهي التي يُنصب المضارع بعدها، وهي الواقعة في جواب الطلب، وقد ذكر ابنُ نور الدين أنها هاهنا "تكون للسبب المحض"(٣٣)، قال عباس حسن - وذكر دلالة الفاء العاطفة على السببية - "ولكنها لا تُسمى اصطلاحا في هذه الحالة: فاءَ السببية، إلا إذا دخلت على مضارع منصوب بأنْ المصدرية المضمرة"(٣٤).

ب) التفريق بين فاء الفصيحة وفاء السببية:

اجتمعت عندي وجوهٌ ثلاثة في التفريق بينهما:

أولا: تشترك الفاءان في وجود معنى السببية فيهما؛ لكنه في الفصيحة موجودٌ بصورته العامة المتقدمة، حيث تدل الفاء "على أنّ ما بعدها يتعلق بمحذوف هو سبب لما بعدها"(٣٥) فهي "تُفصح عن المحذوف وتفيد بيانَ سببيته"(٣٦). وذلك أنّ الفصيحةَ لا تخلو؛ إما أنْ تكون جوابيةً أو عاطفةً للجمل، وكلا النوعين دالٌّ على السببية كما تقدم.

---

(٣٠) المرادي ٧١، وانظر ابن هشام ٤٩٩/٢.

(٣١) المرادي ٦٦، وانظر ابن نور الدين ٣٠٩.

(٣٢) المرادي ٦٤، وانظر ابن هشام ٤٨٥/٢، وابن نور الدين ٣٠٥.

(٣٣) ابن نور الدين ٣٠٥.

(٣٤) عباس حسن ٥٧٤/٣.

(٣٥) السيوطي ٢٤٥/٢، من كلام القطب التحتاني والطيبي.

(٣٦) السيوطي ٢٥٣/٣، من كلام السعد التفتازاني.

أما الفاءُ السببية (الاصطلاحية) فسببيَّتُها نحوية ينشأ عنها أثرٌ إعرابي هو نصب المضارع بعدها في جواب الطلب بأنْ مضمرة، بحسب شروط وضوابط مفصّلة في بابها.

ثانيا: الفاء السببية (الاصطلاحية) فاءٌ عاطفة في حقيقتها لأنها داخلة على مصدر مؤول(٣٧)، أما الفصيحة فتكون جوابيةً وتكون عاطفة على التحقيق، كما تقدم.

ثالثا: السببية تعطف مفردا -هو المصدر المؤول-أما الفصيحة فتعطف

-حين تعطف-جملة، كما يظهر في الشواهد المتقدمة، وكما تبيّنتُه من تتبُع أمثلة الفاء الفصيحة العاطفة في النص القرآني.

سادسا: بين فاء الفصيحة والفاء التفريعية.

يرى بعض العلماء أنْ لا فرق بين الفصيحة والتفريعية(٣٨)، ولعل من سبب الإسراع إلى هذه التسوية ما بين موارد الفاءين من تشابه كبير حتى إنّ المفسرين كثيرا ما يحملون الموضعَ الواحد عليهما جميعا(٣٩).

وعندي أنّ بين الفاءين عموما وخصوصا وجهيا:

-فمما يَسُوغ حملُه على الوجهين: قوله تعالى چڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑچ النساء:٤١. فالفاء هنا تحتمل الفصيحة، والتقدير: إذا أيقنت بما تقدّم من عدل الله المطلق وأنّه لا يظلم مثقال ذرة فكيف...، وتحتمل التفريع على چچ چ چ چ چچ النساء:٤٠ ببيان حال الناس في موقف الحساب العادل.

ونحو ذلك قوله تعالى چ د د ئا ئا ئه ئه ئو ئوچ النساء:٧٤، فالفاء هنا إما فصيحة، والتقدير: إذا أحكمتم ذلك (من أخذ الحذر والنفر ثباتٍ أو جميعا) فليقاتل...، وإما لتفريع الأمر "فليقاتل" على چ ڳ ڳ ڳچ النساء:٧١.

---

(٣٧) انظر مثلا: المرادي ٧٤. وهذا هو المشهور في مدخولها، وهو مذهب البصريين (انظر ابن الأنباري: المسألة ٧٩).

(٣٨) الكفوي ١٠٧٣، وعضيمة: القسم الأول ٢٣٧/٢.

(٣٩) انظر مثلا: الشهاب ١٠٨/١، وأبو السعود ٣٩/٣، وابن عاشور في مواضع كثيرة؛ منها: ٥٦/٥، ١٢١، ١٤٢، و١٨٨/٧، ١٩٨، وطنطاوي ٢٩٠/١٥، ٣٥٤.

ومما يدل على تداخل الوجهين وصحَّتِهما جميعا في نحو هذه الأمثلة قولُ الطاهر ابن عاشور عن قوله تعالى چ ڈ ڈ ڟچ الأحقاف:٢٤ "في الكلام تقدير يدل عليه السياق، ويسمى التفريع فيه فصيحةً"(٤٠)، وقولُه عن چئۇ ئۆ ئۈ ئۇچ النازعات:١٣ "الفاء فصيحة للتفريع"(٤١)، وعن قوله تعالى چڭ ڭ ڭچ عبس:٢٤ "والفاء مع كونها للتفريع تفيد معنى الفصيحة"(٤٢).

-ومما لا يَظهرُ حملُه إلا على الفصيحة: قوله تعالى چپ پ پچ مريم:٩٧ ، إذ هو على تقدير: بلِّغ ما أنزل إليك. ولا يظهر للتفريع فيه وجه.

ونحوه قوله تعالى چے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭچ النساء:١٥٣، ولا تفريع هاهنا - إذا فهمنا التفريع انتقالا من أصل إلى فرعِهِ-، وإنما التقدير: إنْ يسألوك فقد سألوا...

-ومما لا يصحُّ حَملُه إلا على التفريعية: قوله تعالى چډ ډ ڈ ڈچ البقرة:٩٠ ، فهو تفريع على ما تقدَّم من ذكر كفرهم وبغيهم، قال الألوسي "ومن الناس من زعم أن الفاء فصيحة... وليس بشيء"(٤٣).

ومن أظهر الأمثلة قوله تعالى چٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤچ يس:٧٢، فالفاء هنا لتفريع صور التذليل ولا تُتَصَوّر فصيحةً.

ومنه قوله تعالى چٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦچ فاطر:٣٢ ، فالفاء لتفريع أنواع المصطفَين وليست من باب الفصيحة.

ليست الفصيحةُ - إذن- عينَ التفريعية، وإنما أَوهمَ بالتسوية كثرةُ تواردها على الموضع الواحد، وجمعُ بعض عبارات العلماء بينهما كما تقدّم، مع عدم وجود فصلٍ مفهوميٍّ دقيق بينهما.

---

(٤٠) ابن عاشور ٢٦/٤٩.

(٤١) ابن عاشور ٣٠/٧٢.

(٤٢) اين عاشور ٣٠/١٢٩.

(٤٣) الألوسي ١/٣٢٢.

وإذ إنّنا بمعرض تحرير محددات الفاء الفصيحة فإننا ننبّه إلى احتياج الفاء التفريعية إلى تحريرٍ موسع لمفهومها وعلاقاتها في بحث مستقل.

سابعا: وصف (الفصيحة).. نحويٌّ أو بلاغي؟

وهاهنا سؤال تأسيسيّ مشروع: إذا كانت فاء الفصيحة مشيجا من العاطفة والجوابية، ولا تشكل قسما نحويا مستقلا، فما وجه اختصاصها باسم ورسم؟!

والحق أننا إذا أضفنا إلى هذا السؤال ملحوظة أخرى؛ هي استناد وصف (الفصيحة) إلى مسوغات غير نحوية - كاستعمال الفصحاء لها أو فصاحة العبارة بها...-= فإننا نستريح إلى اعتقاد أن هذه التسمية ترجع - بوضوح - إلى اعتبارات بلاغية لا نحوية، بخلاف ما قد يُتوهّم من إيراد بعض النحاة - كالمرادي وابن هشام وابن نور الدين - لها بين الفاءات النحوية في كتب حروف المعاني.

ويتواطأ هذا الاعتقاد مع ما نجده من احتفاء المتقدِّمين بما في التعبير بالفاء الفصيحة من حذف بليغ، يقول عنه الزمخشري إنّه "من أحاسن الحذوف"(٤٤)، ويقول الشهاب الخفاجي - تفصيلا لوجه الحسن والبلاغة في الحذف مع الفاء الفصيحة - "قال المحقق(٤٥): ووجه فصاحتها إنباؤها عن ذلك المحذوف بحيث لو ذُكر لم يكن بذلك الحسن، مع حُسن موقع ذوقيٍّ لا يمكن التعبير عنه"(٤٦)، قال السيوطي "ومبنى الفاء الفصيحة على الحذف اللازم بحيث لو ذكر لم تكن تلك الفصيحةَ"(٤٧).

وجليٌّ أنّ هذا الجنس من الحذف هو من طبقة ما قال عنه عبد القاهر "بابٌ دقيقُ المسلك، لطيف المأخَذِ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر؛ فإنك ترى به تركَ الذكر أفصحَ من الذكر والصمتَ عن الإفادة أزيدَ

(٤٤) الزمخشري (أ) ٨١/٢.

(٤٥) يعني بالمحقق: السعد التفتازاني، وقد مرّ التنبيه على ذلك.

(٤٦) الشهاب ١٦٥/٢.

(٤٧) السيوطي ٢٥٣/٣.

للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِن"(٤٨).

وقد صرح البهاء العاملي - أو كاد - بالطابَع البلاغي لتسمية هذه الفاء فقال "وهذه الفاء العاطفة على الجواب المحذوف تسميها أربابُ المعاني الفاء الفصيحة"(٤٩). وسيأتي مزيد تناول لقيمة الحذف مع هذه الفاء.

المبحث الثاني: الوظائف النصية للفاء الفصيحة

يمكننا تصنيف وظائف الفاء الفصيحة في مجموعتين؛ الأولى: وظائف نصية أساسية ملازِمة لهذه الفاء ملازَمَةً منطقية، والثانية: وظائف نصية مرِنة متغيرة مرتبطة بسياق ورود الفاء.

أولا: الوظائف النصية الأساسية للفاء الفصيحة.

١- الاقتصاد النصي Textual Economy

تقاس جودة النصوص بمدى ما تحققه من كفاءة نصية textual efficiency، وتعني الكفاءة في أخصر العبارات: "صياغة أكبر قدر من المعلومات بإنفاق أقل قدر من الوسائل"(٥٠).

والاقتصاد أحد أهم مبادئ هذه الكفاءة(٥١)، ويمكن تعريفه في كلمة واحدة بأنه "الإيجاز"(٥٢)، بكل ما يدل عليه من:

---

(٤٨) عبد القاهر ١٤٦. وانظر حول هذا المعنى: ابن الأثير ٧٧/٢، والعلوي ٥١/٢.

(٤٩) العاملي ١٥٨.

(٥٠) دي بوجراند ٢٩٩، وانظر ٥٤٥.

(٥١) دي بوجراند ٣٠٢.

(٥٢) مقصودنا هو المعنى اللغوي للإيجاز، أما الإيجاز البلاغي الاصطلاحي – قسيم الإطناب والمساواة – فلا ندّعي أنّه يطابق مصطلح (الاقتصاد)؛ لأن السياق العلمي والثقافي لكل منهما مختلف عن الآخر. نعم، يتقاربان، لكن دعوى التطابق لا تستقيم، ولو اعتقدتُ استقامتها لاستخدمتُ مصطلح (الإيجاز) لأنه الأقدم والآصَل.

أ) الاكتناز ونفي الفضول. يقول الجاحظ "أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره"(٥٣)، وكان جعفر بن يحيى البرمكي يقول لكتّابه "إن قدرتم أن تكون كتبُكم كلُّها توقيعاتٍ فافعلوا"(٥٤). ولقيام الكفاءة النصية على الاقتصاد والإيجاز "كان أشرفَ الكلام كلِه حُسنا وأرفعَه قدرا وأعظمه من القلوب موضعا وأقله على اللسان عملا= ما دل بعضُه على كله وكفى قليلُه عن كثيره"(٥٥).

ب) الاعتماد على ما لدى المخاطَب من معرفة سابقة (يسميها علماء النص الغربيون: معرفة العالم World knowledg، ويحتفلون بها جدا) لتقليص المكوّن المادي للنص. يقول أبو عبيدة "العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه"(٥٦).

والاقتصاد النصّي له وسائل؛ من أهمها الحذف(٥٧). والاقتصاد بالحذف متحقق بصورة نموذجية مع الفاء الفصيحة، حتى لقد سَمى السجلماسي هذه الصورة من الحذف "الاكتفاء"، وعرّفه بأنه "الاجتزاء من أحد المرتبطَين بالثاني"(٥٨)، ولا تخفى دلالةُ المصطلح وتعريفِهِ على معنى الاقتصاد.

- الاقتصاد بالحذف مع الفاء الفصيحة:

أشرنا قبلُ إلى امتياز الفاء الفصيحة - دون سائر الفاءات - بإغنائها عن محذوف متقدمٍ وإنبائها عنه، ونضيف هاهنا أنّ الاقتصاد النصّي الناشئ عن هذا الحذف ليس شَرْجا واحدا، بل هو بالغ الثراء، وقد تبيّن لنا من تقرّي موارد الفاء الفصيحة في القرآن الكريم أنّ للاقتصاد معها مستويات متتالية تتدرج به فيها الفاء إلى أقصى إمكانات الاختزال والإيجاز.

---

(٥٣) الجاحظ ٨٣/١.

(٥٤) المبرد ٢٣٩/١.

(٥٥) ابن عبد ربه ٢٣٧/٤.

(٥٦) أبو عبيدة ١١١/١.

(٥٧) انظر: دي بوجراند ٩٩، ٣٠٢، وأبو غزالة ١٠١، وانظر: Crystal p.426

(٥٨) انظر: السجلماسي ١٨٨.

• ففي بعض الحالات يكون الاقتصاد بحذف مكوّن واحد قبل الفاء: كما في قوله تعالى چچ چ چچ البقرة:٧١ ، التقدير: فظفروا بها فذبحوها...

وفي قوله تعالى چ ک ک ک ک چ البقرة:٨٠ ، والتقدير: إن كنتم اتخذتم عهدا فلن يخلف الله عهده.

وفي قوله تعالى چ چ چ چ چ چ البقرة:١٨٤، التقدير: فأفطر فعدّة. ونظائر ذلك كثيرة(٥٩).

• وقد يكون الاقتصاد مع الفاء الفصيحة أكثر تكثيفا واختزالا؛ وذلك حيث تتعدَّد المكوِّنات المحذوفة التي تفصح عنها الفاء، وهنا يتحقق الاقتصاد على درجتين: الاقتصاد بالإحالة إلى هذه المكوّنات بدلا من ذكرها مفصّلة، ثم الاقتصاد بحذف عبارة الإحالة بمرّةٍ.

وهذه الصورة أكثر صور الاقتصاد بالفاء الفصيحة ورودا في القرآن الكريم(٦٠). ومن أمثلتها قوله تعالى چڈ ڈڈ ژ ژڑ ڑچ النساء:٤١ ، إذ التقدير: إذا أيقنت بذلك فكيف...، واسم الإشارة (ذلك) يحيل إلى الآيات الأربع السابقة(٦١) چې ې ې ائا... ې ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ... ٹ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃچ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌڎ النساء:٣٧- ٤٠.

وجليٌّ أن الاقتصاد هاهنا بدأ باختزال مضمون كل هذه الآيات في العنصر الإشاري المحيل في عبارة الشرط، ثم تمّ الاقتصاد بحذف الشرط نفسِه برُمّته.

---

(٥٩) انظر مثلا: البقرة ٥٤، ٦٠، ٦٨، والأنعام ٣٠، ٣٣، والصافات ١٠٢، ١٤٥، ١٧٠.

(٦٠) استظهرتُ هذه الأكثرية بتتبّع مواضع الفاء الفصيحة في القرآن من خلال كتب التفسير، وخاصة لدى ابن عاشور الذي كان الأكثر اهتماما برصد الظاهرة يليه الشهاب وأبو السعود والألوسي.

انظر مُثُلا على هذه الصورة الغالبة: الأنعام ١٤٩، ١٥٧، والأعراف ٦٩، ١٥٧، والأنفال ١٧، ويونس ٣٢، والروم ٣٠، ٥٦، ويس ٨٣، والصافات ٣٣.

(٦١) انظر ابن عاشور ٥٦/٥.

وعلى هذا القَريّ قولُه تعالى في السورة نفسها چ ـ ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ چ النساء:٧٤. والتقدير: إذا علمتم "ذلك" فليقاتل...، والإحالة هنا إلى التوجيهات الجهادية في ثلاثِ الآيات المتقدمة(٦٢).

وفي سورة النساء أيضا يقول الله تعالى چ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ چ النساء:٨٤ ، والتقدير: إذا فقهت "ذلك" فقاتل...، والإحالة هنا إلى ما تقدّم في خلال آيات كثيرة "من الأمر بالقتال ومن وصف المثبطين عنه والمتذمرين منه والذين يفتنون المؤمنين في شأنه"(٦٣).

ونحوُ ما تقدّم الآياتُ (٩٩، ١٤١، ١٥٣) في السورة ذاتها؛ ففيهنّ جميعا محذوف قبل الفاء يُقدَّر شرطا فيه إحالة إشارية إلى متقدِّمات كثيرة.

• وثمة صورةٌ ثالثة يبلغ فيها الاقتصاد مع الفاء الفصيحة أمدا بعيدا؛ وذلك حين يتجاوز الأسلوب حذف المسبّب وما في تقديره من إحالة إلى حذف المحالِ إليه البعيدِ نفسِه، وذلك بالاستناد إلى امتداد دلالة الفاء الفصيحة وقدرتها الاقتصادية التي تحفظ على النص – بالرغم من كل هذا التصرف - اتّساقَه وكفاءَته.

ففي قوله تعالى چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ چ النحل:٨٥. التقدير(٦٤): إذا رأى الذين ظلموا العذاب "ثقل عليهم وبغتهم حتى طلبوا التخفيف أو النظِرة" "فإذا كان منهم ذلك" فلا يخفف عنهم...

واسم الإشارة "ذلك" - في الشرط المقدّر - يحيل هاهنا إلى أفعالهم السابقة، لكنّ المدهشَ أن المحال إليه محذوف أيضا، والقرينة التي سمحت بذلك هي الفاء الفصيحة التي يُعين ما فيها من دلالات الترتّب والسببية على استرجاع تلك النواقص النصِّية وتقديرها.

ليس للاقتصاد مع الفاء الفصيحة وجهٌ واحدٌ إذنْ، بل تتسع طاقتها – كما عرضنا – لمستويات متدرّجة منه. يُمكننا تمثيلها بالشكل الآتي:

---

(٦٢) انظر ابن عاشور ١٢١/٥.

(٦٣) انظر ابن عاشور ١٤٢/٥.

(٦٤) انظر: الزمخشري (أ) ٦٢٧/٢، وابن عاشور ٢٤٦/١٤.

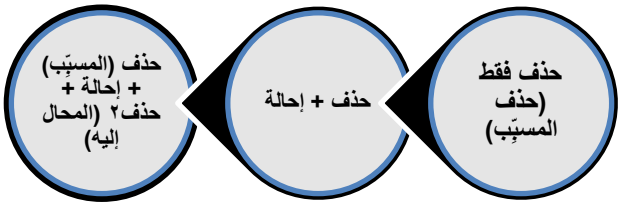

ـ الفاء الفصيحة معدِنًا للاقتصاد النصّي:

يتكرَّر في كلام البلاغيين تنظير بعض البنى اللغوية بالفاء الفصيحة في تحقّق الإيجاز والاقتصاد، بما يدل على أصالة هذا المعنى فيها:

من ذلك أنهم يذكرون ما في استعمال اسم المصدر من تعبير بالنتيجة عن المنتِج؛ فـ"القُبلة" مثلا ناتجة عن "التقبيل" و"الوُضوء" ناتج عن "التوضؤ" و"النبات" ناتج عن "الإنبات"... وهكذا، ووَضعُ اسم المصدر موضعَ المصدر يختـزل المسافة بين السبب والنتيجة ويقتصد في التعبير، بدل أن يقال: توضّأ توضُّؤًا فكان وضوءٌ، وأنبتت الأرضُ إنباتا فنشأ نباتٌ...، ومن أجل هذا المعنى ذكر الشهاب الخفاجي أنّ في اسم المصدر وجها "من إيجاز الحذف، وشبّهه المدقق(٦٥) بالفاء الفصيحة حتى إنّه لو سُمّي المصدرَ الفصيح حسُن ذلك"(٦٦).

وفي تعليقه على قوله تعالى چ ې ې ې د چ يونس:٣٩ قال الشهاب "رأيتُ بخط بعض الفضلاء المتأخرين أنّ (بل) هذه ينبغي أن تُسمّى فصيحةً؛ لأن المعنى: فما أجابوا أو ما قَدَروا بل كذبوا"(٦٧).

وقال عن الحذف مع الواو في قوله تعالى چ پ پ پ ڀ ڀ چ يوسف:٣١ ، والتقدير: جئن وقعدن وآتت... "ولا يَبعُد أن تسمى هذه الواو فصيحة"(٦٨)، وعلّق مثلَ هذا على قوله تعالى چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ النمل:١٥ (٦٩).

---

(٦٥) يعني الشهاب بالمدقّق: الجلال القزويني، والعزوُ إلى كتابه (الكشف عن مشكلات الكشاف). وقد تبيّنتُ هذا من تقرّي نقول الشهاب عن "المدقق" وإشاراته إليه، وإنْ لم ينصّ عليه قطُّ.

(٦٦) الشهاب ٩/٥.

(٦٧) الشهاب ٢٩/٥.

(٦٨) الشهاب ١٧٢/٥.

- ذيل: القيمة البلاغية للاقتصاد بالحذف مع الفاء الفصيحة.

ليس الاقتصاد بالحذف مسلكا لتقليص النص والاختزال في بنيته المادية فحسب، وإنما يحمل كذلك قيمةً بلاغية وتداولية ترفع كفاءةَ النص بِعامّة.

ومع الفاء الفصيحة يُحذف المسبِّب ويبقى المسبَّب، وقد استبان لي من النظر واستقراء النصوص أن هذا المحذوف يكون دائما جملة، وهذا الضرب من الحذف "له في البلاغة مدخل عظيم"(٧٠)، يقول السجلماسي عن هذا اللون من الحذف – وسمّاه (الاختزال) – إنّه "أجزلُ مبنًى وأشرفُ مقطعًا وأنوهُ دلالة وأشد مبالغة وأفصح لفظا"(٧١).

ومن آية جودة الحذف أن يكون أشرفَ من الذكر، أو كما قال عبد القاهر "أن يكون ترك الذكر أفصحَ من الذكر والصمتُ عن الإفادة أزيدَ للإفادة"(٧٢)، وواضح من تأمل شواهدِ الفاء الفصيحة ونموذجِ عبارتها أنّ الحذف معها من هذا الجنس، الذي "لو ظهر المحذوف لنزلَ قدرُ الكلام عن علوّ بلاغته وصار إلى شيء مستَرَكٍّ مسترذل"(٧٣)، وقد تقدّم ما فيه تقريرُ ذلك، وانظر الآن – غير مأمور – فيما تقدّم من الأمثلة والشواهد وما قُدِّر فيها من كلام محذوف "ألا ترى النفسَ كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف وكيف تأنس إلى إضماره، وترى الملاحةَ كيف تذهبُ إن أنت رُمت التكلُّم به"(٧٤).

٢– السبك Cohesion

---

(٦٩) الشهاب ٣٧/٧.

(٧٠) العلوي ٥١/٢.

(٧١) السجلماسي ١٨٨، وانظر ابن عبد ربه ٢٣٧/٤.

(٧٢) عبد القاهر ١٤٦.

(٧٣) العلوي ٥١/٢، وانظر ابن الأثير ٧٧/٢.

(٧٤) عبد القاهر ١٥٢.

السبك معيارٌ لتحقق التماسك والترابط والاستمرارية للنص في ذاته؛ أي من حيث هو بنيةٌ مادية؛ من خلال وصف "ما يقوم بين مكونات ظاهر النص من ترابط متبادل"(٧٥).

ومن أشهر وسائل السبك النصّي الحذفُ Ellipsis، "وهو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أنْ يوَسّع أو أن يُعدّل بواسطة العبارات الناقصة"(٧٦) أي العبارة الأم التي تحتوي المحذوفَ ودليلَ الحذفِ النصّيَ أيضا.

وأخصرُ توصيف لهذا الاستبعاد اعتمادا على مذكورٍ نصّي أنه استبدال صفري(٧٧) Substitution by zero، أو – كما يترجمه تمام حسان – "اكتفاء بالمبنى العدمي"(٧٨)؛ إذ إنّ ثمّة عنصرا بديلا يشغل موقع الطرف الثاني في حالة الاستبدال أما في حالة الحذف فإن الموقع يظل خاليا(٧٩).

ووجهُ التماسك النصي الذي يضفيه الحذف السابك أنّه "يسمح بإغفال بعض المكونات التركيبية مشترطا إمكان استعادة الرواية الكاملة من موضع آخر في النص"(٨٠)، فليس هذا الحذف في حقيقته نقصا نصيا، بل هو - كما يصفه ستيفن وليستر - "توسيع للسيطرة الدلالية أو النصية لجملة ما"(٨١)، والمقصود الجملة المشتملة على دليل المحذوف، وذلك لما ينسجه الحذف من ارتباط وعلاقة تفسيرية بين عبارة دليل المحذوف والمكوّنِ المحذوف نفسِه.

- السبك بالحذف مع الفاء الفصيحة، ودور الفاء:

ثمة ضابط مهم لاعتبار الحذف عنصر سبكٍ يربط بين مكونات ظاهر النص؛ هو أن يكون دليلُ المحذوف عنصرا نصيًّا له وجود ماديّ

---

(٧٥) أبو غزالة ٢٥، وانظر: Malmkjaer p.623

(٧٦) دي بوجراند ٣٠١.

(٧٧) Halliday & Hassan p.142

(٧٨) انظر دي بوجراند ٣٤٠.

(٧٩) Halliday & Hassan p.145

(٨٠) Malmkjaer p.625 ، وانظر في المعنى نفسه: أبو غزالة ١١٨.

(٨١) Stephen & Lester p.190

في النص حتى يستدل حينئذ بالحاضر على الغائب، ولهذا فإنّ "الحذف ذا المرجعية الخارجية - غير النصية - لا مكان له في السبك"(٨٢).

وهذا الضابط متحقّق بوجهٍ تامّ في حالة الحذف مع الفاء الفصيحة؛ حيث تعدّ هذه الفاء نفسُها قرينةً دالة على المحذوف، وذلك بما تحمله من دلالات السببية والترتيب والربط، وهي دلالات تفترض تأويلا منطقيا للمحذوف المتقدِّم، وتتضافر لتوجيه المتلقي إلى مَلءِ الفجوة الخطابية Discourse gap في النص من خلال عملية "الاستدلال، بوصفه اكتشافا للحلقات المفقودة"(٨٣).

وهذه الدلالات المذكورة للفاء الفصيحة اكتَسَبَتها من الفاءات الأصول اللاتي تنتسب إليهن؛ العاطفة والجوابية، فأما دلالة (السببية) فقد قال المرادي عن الفاء الجوابية "معناها الربط وتلازمها السببية"(٨٤)، وقال عن العاطفة "وإن عطفت جملة أو صفة دلت على السببية غالبا"(٨٥) قلت: ولم تقع الفصيحة عاطفة إلا في الجمل.

وأما دلالتا (الترتيب والربط) فقد قال ابن جني عن الفاء "المعنى الذي تختص به وتنسب إليه هو معنى الإتباع"(٨٦) وعلّق المحققان "أنه يريد بالإتباع معنى التعقيب والربط"(٨٧)، وقال الرضي "الفاء تفيد الترتيب سواء كانت حرف عطف أو لا"(٨٨)، وقال المالقي عن العاطفة "والربط والترتيب لا يفارقانها"(٨٩)، وقال عن السببية الجوابية "وفيها أيضا الربط والترتيب كما ذُكر في العاطفة"(٩٠)، أما سيبويه فسبق الجميع

---

(٨٢) Halliday & Hassan p.144

(٨٣) براون ويول ٣٠٧.

(٨٤) المرادي ٦٦.

(٨٥) المرادي ٦٤، وانظر: ابن هشام ٢/٤٨٥، وابن كمال باشا ٢٨٨.

(٨٦) ابن جني ١/ ٢٦٢.

(٨٧) ابن جني ١/١٧٠ (هامش التحقيق).

(٨٨) الرضي ٤/٣٨٤، وانظر ٤/٣٨٧.

(٨٩) المالقي ٤٤٠.

(٩٠) المالقي ٤٤٢.

إلى تقرير دلالة الربط والسبك في الفاء فقال "هي تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في إثر بعض"(٩١).

ودور الفاء الفصيحة – بدلالاتها هذه – في تحقيق السبك بكونها قرينةً دالة على المحذوف= مطّرد وظاهر جدا في النصوص؛ ففي قوله تعالى چچ چ ڍ ڌ...چ البقرة:٦٠ - ومثله چڀ ڀ ڀ ٺ ٺ...چ الأعراف:١٦٠ - دلت الفاء الفصيحة، بما فيها من معنى الترتب والسببية، على معطوف محذوف في النص، صورتُه مثلا: فضرب موسى الحجر بعصاه فانفجرت...، والمخاطب يستنتج هذا المحذوف استنادا إلى العنصر السببي المذكور في النص (الفاء) وما تحمله عليه دلالاته من "التأمل في اللوازم الذهنية التي تربط بين الأمر بأن يضرب بعصاه الحجر وبين حدوث ظاهرة تفجّر الحجر بالماء"(٩٢).

وفي قوله تعالى چ ڈ ژ ژ ڑچ المائدة:١٩ أنبأت الفاء الفصيحة -بما تحمله من دلالات الترتب والسببية -عن شرط محذوف، تقديره: إذ قلتم هذا القول أو ادعيتم هذه الدعوى فقد جاءكم...، وإنما ساغ حذفُه هاهنا لإفصاح الفاء عنه "وقد ظهر حسنُ موقعها بما قررت به معنى التعليل"(٩٣).

وفي قوله تعالى چڎ ڈ ٹچ طه:٧٨ تدل الفاء الفصيحة -بدلالاتها المتقدمة -على أنّ ثمة معطوفا عليه محذوفا، تقديره: فضرب لهم طريقا في البحر وسرى بهم فأتبعهم...، وإنما فُهم المحذوف بنحو هذا التقدير لأنّ إتباعَ فرعون قومَ موسى مسبَّب ومترتِّب على سُراهم، وهذا ما أفصحت عنه الفاء فـ"طُوي ذكره ثقةً بغاية ظهوره"(٩٤).

- اتجاه علاقة السبك في الحذف مع الفاء الفصيحة:

---

(٩١) سيبويه ٢١٧/٤.

(٩٢) حبنّكة ٤٦/٢.

(٩٣) ابن عاشور ١٦٠/٦.

(٩٤) أبو السعود ٣٢/٦.

يكاد يكون مستقرا في أبحاث علماء النص الغربيين وصفُ علاقة السبك التي ينتجها الحذف بأنها علاقة قبلية anaphoric يتقدم فيها دليلُ المحذوف موضعَ الحذف(٩٥).

والواقع أن في هذا التصور قُصورا كبيرا. نعم، تقدُّم دليل الحذف هو الأصل منطقيا، لكنّ السبكَ بالحذف في النص أرحبُ من ذلك وأطلق، والفاء الفصيحة شاهدٌ واضح على هذا.

مع الفاء الفصيحة تكون علاقةُ السبك دائما بعديّة cataphoric يتأخر فيها المفسِّر عن موضع الحذف ولا يتقدّمه، وهذا بيّنٌ من خلال ما مرّ من أمثلة تقدّم فيهنّ جميعا موضعُ المحذوف المقدّر على الفاء الفصيحة. وهذا الوجهُ من التفسير الراجع له قيمتُه التداولية الرفيعة وطاقتُه الداعمة للكفاءة النصية "وذلك أنَّ في البيان إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك له= أبدًا لطفا ونبلا لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرِّك"(٩٦) أي بأن يَرِدَ الكلام على سَوائه بلا حذفٍ يسبق البيان، وهذه النكتة - على إجمالها وانطباعيتها - ظاهرةٌ جدا مع الفاء الفصيحة، وعنها تنشأ دلالات سياقية متنوعة من المفاجأة والتوكيد وغيرها مما نتناوله بعد قليل بإذن الله.

ويجدر بنا هاهنا التنويه بأنه على حينَ قصّرَ الباحثون الغربيون في تصوّر علاقة بعدية واضحة للحذف= قامت أساليبُ متنوعة من الحذف في العربية على هذه العلاقة ذات الطابع الفني؛ كأسلوب الاحتباك والفاء الفصيحة وما سماه عبد القاهر "الإضمار على شريطة التفسير" ونعته بأنه "طريق معروف ومذهب ظاهر"(٩٧).

---

(٩٥) انظر مثلا: Halliday & Hassan p.145، وكلا من:

- أبو غزالة ١٠١.
- Crystal p.119
- Malmkjaer p.624

(٩٦) عبد القاهر ١٦٣-١٦٤

(٩٧) عبد القاهر ١٦٣. وقد تناولتُ الحذفَ في أسلوب الاحتباك ضمن بحثي للدكتوراه "دور فواصل الآي في تماسك النص القرآني".

ولعلّ مِن أهمِّ أسباب قصور التناول الغربي المذكور وَلُوعَ أربابه المفرِطَ بتحليل الخطاب البسيط والاعتمادَ في المعالجة والتنظير على أمثلة من المتواليات الحوارية البسيطة، كما يبدو من استشهاداتهم في هذا المقام:

- أين رأيت السيارة؟ - في الشارع. (٩٨)
- أين الكتاب؟ - على المنضدة. (٩٩)
- جون أحضر بعضَ أزهار القرنفل، وكرستين بعضَ قرون البِسِلَّى الحلوة.(١٠٠)
- كل الأطفال حصلوا على الآيس كريم اليوم؛ إيفا اختارت الفراولة، أما آرثر فأخذ البرتقال، وويليام كذلك. (١٠١)
- هل تريد أن تذهب معي إلى المتجر؟ - نعم أفعل. (١٠٢)

ويلاحظ في كل هذه الأمثلة – بادِيَ النظر – أنّ الحذف فيها تداوليٌّ اعتيادي جدا؛ حيث يحذف الفعل من الجملة المتأخرة اعتمادا على وجوده في جملة سابقة.

ثانيا: الوظائف السياقية للفاء الفصيحة.

نتناول هنا نمطا مرنا من الوظائف النصِّية للفاء الفصيحة، تُقدِّم فيه الفاء طائفةً من الدلالات السياقية المتنوعة المنبثقة عن خصائصها ودلالاتها الوضعية المتقدّمة.

وقد وقف بنا تأمُّل مواضع الفاء الفصيحة في النص القرآني على أبرز هذه الوظائف السياقية:

---

(٩٨) Crystal p.119

(٩٩) Crystal p.426

(١٠٠) Halliday & Hassan p.145

(١٠١) Sanders & Maat p.591

(١٠٢) Stephen & Lester p.191

١- الدلالة على السرعة.

والمقصود الدلالةُ على سرعة وقوع المحذوف أو إضفاءُ صبغة من السرعة على السياق كله "كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام"(١٠٣).

من ذلك ما في قوله تعالى چ ک ک ک گ گ چ البقرة:٣٣، والتقدير: فأنبأهم بأسمائهم فلما أنبأهم...، فالفاء الفصيحة هنا "عاطفة للجملة الشرطية على محذوف... للإشعار بتحقُّقه في أسرع ما يكون، كما في قوله تعالى چ گ ں ں چ النمل:٤٠ بعد قوله چ گ گ ک ک گ گ چ النمل:٤٠"(١٠٤)، فاستعمال الفاء الفصيحة في هذين الموضعين دلّ على سرعة حدوث الإنباء من آدم عليه السلام وسرعة الإتيان بالعرش من جليس سليمان عليه السلام.

ومنه ما في قوله تعالى چ ڈ...چ البقرة:٦٠، تقديره: فضرب فانفجرت، وإنما حَذَف وأتى بالفاء الفصيحة للدلالة على سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل بمجرد أمر موسى بضرب الحجر، چچ چ... ڈ چ .

ويقول عز وجل چئا ئه ئه ئو ئو ئۇئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئېچ الأعراف:١١٧، و"الفاء فصيحة، أي فألقاها فصارت حية فإذا هي الآية، وإنما حذف للإشعار بمسارعة موسى عليه السلام إلى الإلقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالأمر بالإلقاء"(١٠٥).

ويقول تعالى چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ...چ يونس:٧٩-٨٠ ، والتقدير: فأَتَوا بهم فلما جاء السحرة...، لكن حُذف فعل الإتيان وجيء بالفاء الفصيحة "إيذانا بسرعة امتثالهم لأمر فرعون، كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام"(١٠٦).

---

(١٠٣) أبو السعود ١٦٩/٤.

(١٠٤) أبو السعود ١٦/١.

(١٠٥) أبو السعود ٢٦٠/٣.

(١٠٦) أبو السعود ١٦٩/٤. ودلالة السرعة مع الفاء الفصيحة شائعةٌ يعلّق عليها أبو السعود كثيرا، انظر مثلا: ٣٢/٥، ٢٧/٦، ٣٢، ٢٧٤، ٢٨٧، ٤/٧، ١٢، ٢٢٦، ١٤٠/٨، ٨٩/٩.

ونحو ذلك أيضا ما في قوله تعالى چے ے ۓ ۓچ الصافات:١٤٥، "والمعنى: فلفظه الحوت وقاءَه وحمله الموج إلى الشاطئ"(١٠٧)، وإنما وقع الحذفُ وعُبّر بالفصيحة إشارةً إلى سرعة استجابة الله سبحانه دعاءَ يونس عليه السلام في بطن الحوت وسرعة إنجائه، حتى كأنّه لم يكن بين مجردِ دعائه ونبذِه بالعراء فصلٌ.

٢- المفاجأة.

قد تحمل الفاء الفصيحة نوعًا من المباغتة وإخلاف التوقع، وهذه المباغتة تمنح السياق طاقة إعلامية كبيرة تُقوّي دلالته وتثير انتباهَ المتلقي وتأمُّلَه.

ودونك مثلا قولَ الله تعالى في قصة امرأة العزيز مع صواحبها حين أخرجت عليهن يوسف عليه السلام چٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃچ چ چ چ ڇ ڇچ يوسف:٣١-٣٢. الفاء في "فذلكن" فصيحة، وقد استخدمتها امرأة العزيز لمفاجأة النسوة بخلاف ما وهِمنه من أمر هذا الداخل الكريم حتى حسبنه ملكا، وهذه المفاجأة في هذا السياق كانت أدعى إلى تمهيد العذر للمرأة في ما شاع عنها من أمر المراودة، فتقدير الكلام: إن كان هذا ظنَّكنّ ومبلغَ ذهولكن وإكبارِكن هذا الفتى فذلكن الذي لمتنني فيه.

ومن هذا الباب قوله تعالى چچ چ چ ڇ ڇچ النحل:١١٣، فإنّ التقدير: فبلَّغهم الرسالة فكذبوه، لكن جُعلت الفاءُ فصيحةً "للإيذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم"(١٠٨) كأنّهم كذّبوه بمجرد مجيئه، وقبل أن يسمعوا خيرا أو شرا. ومثل هذا يقال في فاء الفصيحة في قوله تعالى بشأن موسى عليه السلام چڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈچ الإسراء:١٠١.

وفي موضع آخر يقول الله تعالى مخاطبا المشركين حين تبرأ منهم الشركاء يوم القيامة چۓ ۓ ڭ ڭچ الفرقان:١٩ ، والتقدير: إن زعمتم أن هؤلاء قد أضلوكم واستعبدوكم لهم من دون الله فقد كذبوكم...، وهذه مفاجأة قاطعة وصادمة لكل مشرك بإعلان الشركاء البراءة منهم وتكذيبهم. قال الشهاب "وتسمية الفاء الفصيحة فجائية ذكره الزمخشري

---

(١٠٧) ابن عاشور ١٧٧/٢٣.

(١٠٨) أبو السعود ١٤٦/٥.

هنا"(١٠٩)، يعني قول الزمخشري في هذا الموضع "هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة"(١١٠)، وعلّق الشريف الجرجاني على عبارة الزمخشري: "في لفظ المفاجأة إشعار بأن السامع كان غافلا عن هذا المترتِّبِ والنتيجة ففوجئ به"(١١١).

وفي قوله تعالى چٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ چ الروم:٥٦، التقدير: إذا تقرر ذلك فهذا يوم البعث. ومعاجلتهم بالفاء الفصيحة "تفيد معنى المفاجأة"(١١٢)، فهم في ذلك الموقف في حيرة وتخبط يتعاجبون من هذا الجمع السريع معتقدين أنهم چگ گ گ گ چ الروم:٥٥، وبينا هم كذلك تفجؤهم هذه الحقيقة الملجمة چ ڻ ڻ چ الذي أنكرتموه واستبعدتموه وسفّهتم من أنذركموه.

٣- تأكيد حصول المحذوف وتقرير استحالة تخلّفه.

قد يكون استخدام الفاء الفصيحة راجعا إلى قصد منشئ الخطاب تقريرَ المكوّن المحذوف لدى المتلقي وإعلامَه أنه مما لا يُتصور تخلّفه أصلا حتى كأنه من البدهيات التي يُعدُّ تكلّفُ ذكرها إخلالا ببلاغة الخطاب وتطويلا غثا بإيضاح الواضحات.

من ذلك ما في قوله تعالى چ ڈ...چ البقرة:٦٠، وتقديره: فضرب البحر بالعصا فانفجرت...، وفيه نُكتٌ تقدّم بعضُها، ومنها هاهنا تقريرُ امتثال موسى عليه السلام للأمر بالضرب وأنه لا يُتصور منه مخالفة الأمر الإلهي "فحَذَف ليشير إلى أن الموحَى إليه لم يتوقف عن امتثال الأمر"(١١٣).

ونحو هذا ما في قوله عز وجل چگ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ چ إبراهيم:٤، وتقدير الكلام: فيبينُ الرسولُ لهم فيُضل الله من يشاء...، لكنّ الاجتزاءَ هنا عن المحذوف بالفاء الفصيحة من دلالته تقريرُ

---

(١٠٩) الشهاب ٤١٢/٦.

(١١٠) الزمخشري (أ) ٢٧١/٣.

(١١١) الشريف الجرجاني ٣٧٩.

(١١٢) ابن عاشور ١٣١/٢١.

(١١٣) الطيبي (أ) ٧٢-٧٣، وانظر الشريف الجرجاني ٣٧٩.

امتثال الرسل لما أُمروا به من البيان والتبيين وأنه مما يُستغنى عن النص عليه؛ للقطع بوقوعه.

وفي قوله تعالى چ ڃ ڃ چ چ چ ... ژ ڑ ڑ ...چ طه:٦٩-٧٠. التقدير: فألقى موسى عصاه فلقفت ما ألقى السحرة فأُلقي السحرة...، والفاء الفصيحة كما نرى "معربة عن محذوفَين ينساق إليهما النظم الكريم، غنيَّين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردّد موسى عليه السلام في الامتثال بالأمر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود"(١١٤).

وفي قوله جل وعلا في السياق نفسه چڈ ڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ چ طه:٧٨. التقدير: فأسرى موسى بالمؤمنين فضرب لهم طريقا في البحر يبسا فأتبعهم فرعون... "فالفاء فصيحة معرِبَة عن مضمر قد طُوِي ثِقةً بظهوره وإيذانا بكمال مسارعة موسى عليه السلام إلى الامتثال بالأمر"(١١٥).

وفي قوله تعالى چڈ ڈ ڈ چ الأحقاف:٢٤، وقوله چ ٻ ٻ ٻ چ الملك:٢٧، الضمير للعذاب، والتقدير في الموضع الأول: فأتاهم ما وعدهم نبيُّهم، ورأوه، فلما رأوه عارضا...، وفي الموضع الثاني: فأتاهم الوعد الذي سألوا عنه، ورأوه، فلما رأوه زلفة...، والاجتزاء بالفاء الفصيحة هاهنا هو للدلالة على اليقين بوقوع العذاب وعدم تخلّف إيعاد الأنبياء أقوامَهم وتصديقِ الله أنبياءَه في إيقاع العذاب بالمكذِّبين.

٤- الإلزام بما بعدها.

قد يكونُ من دلالة الفاء الفصيحة إلزامُ المخاطَبين بما يتقرر بعدها مما يتعلّق بالمحذوف المقدر قبلها وقطعُ أعذارهم في عدم الامتثال.

من ذلك ما في قوله تعالى چڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ چ الحجرات:١٢، والتقدير: إن عَرَض لكم نحوُ هذا كرهتموه، وهاهنا "فاء الفصيحة تفيد الإلزام بما بعدها، كما صرح به الزمخشري في قوله تعالى چئ ئى ئي چ، أي تدلُ على أنْ لا مناص للمُواجَهِ بها من التزام مدلول جواب

(١١٤) أبو السعود ٢٨/٦.

(١١٥) أبو السعود ٣٢/٦.

شرطها المحذوف"(١١٦)، أي إن كنتم تكرهون لحم الميتة فكذلك اكرهوا نظيره وهو لحم المغتاب.

وفي الموضع المشار إليه آنفا من سورة الفرقان يقول تعالى مخاطبا المشركين - وادّعَوا آلهةً من دون الله- چئ ئى ئى ی ی ی ی ئج الفرقان:١٩ ، فكان من نكتة الاكتفاء بالفاء الفصيحة إلزامُ المخاطبين بالإقرار بكذب دعواهم وفساد قولهم وقد جبهتهم معبوداتُهم كلُّها بالتكذيب والنكران، قال الزمخشري "وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنةٌ رائعة"(١١٧).

ويقول الله عزّ وجل مخاطبا أهل الكتاب چچ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ المائدة:١٩، وتقدير الكلام: فإذِ ادَّعيتم هذه الدعوى فقد جاءكم بشير ونذير، وهاهنا إلزامٌ للمخاطبين بما بعد الفاء وهو مجيء الرسل، وقوة الإلزام والحجاج يدعمها الاجتزاء بالفاء الفصيحة وما فيه من مواجهة حادّة ناجزة - من غير فاصل - بما يخالف ما ادّعَوه وافترَوه.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام لقومه چې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ چ البقرة:٦٨ ، والتقدير: قد تبينتم أوصافَ البقرة فافعلوا...، فحَذف واكتفى بالفاء الفصيحة "وموقعها هنا موقع قطع العذر مع الحث على الامتثال"(١١٨).

ويشبه هذا ما في قوله تعالى چۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ الأنعام:١٥٧، والتقدير: إن اعتقدتم هذا فهو باطل فقد جاءكم بينة...، ومجرى الإلزامِ هاهنا مجراه في الموضع السابق؛ فهو قطع للعذر وإلزام للمخاطَبين بتحصيل ما ذكروا من الهُدى، وذلك لتحقُّق إنزال الكتاب بل هيمنته على كل الكتب السابقة بما هو "بينةٌ وهدى ورحمة".

٥- توجيه النظر إلى المذكور لأنه أهم.

وهذه وظيفة شائعة للفاء الفصيحة؛ ففي الشاهد الشهير قولِه تعالى چ... ڈ ڈ ڎ ڎ ڌ ڌ ڇ البقرة:٦٠ ، دلت الفاء الفصيحة "على أنّ المطلوب

---

(١١٦) ابن عاشور ٢٥٥/٢٦.

(١١٧) الزمخشري (أ) ٢٧١/٣.

(١١٨) ابن عاشور ٥٥١/١.

بالضرب الانفجار لا الضرب، ومثلُ هذا المعنى الدقيق لا يذهب إليه إلا الفصيح"(١١٩).

ومثل هذا ما في قوله تعالى چ... ج چ چ چچ البقرة:٧١ ، فتقديره: فظفروا بها فذبحوها، لكنّ الفاء الفصيحة قصرت النظرَ على فعل الذبح وأبرزته لأنه الأهم وهو المطلوب المنصوص على الأمر به من أول هذا السياق چۀ ہ ہ ہ ہچ البقرة:٦٧.

وفي قوله تعالى في قصة موسى والخضر چ□ □ □ □ □ ...چ الكهف: ٧٤، وقوله چڦ ڦ ڦ ڦ ڦ...چ الكهف:٧٧، التقديرُ في كلٍّ: فقَبِل عُذره فانطلقا...، لكنّ التعبير بالفاء الفصيحة يوجِّه النظر إلى الحدث المؤثرِ في مجرى القصة، وهو الانطلاق إلى مشهد جديد، أما قَبولُ العذر فمفهوم تَضمُّنًا ثم إنّ في ذكره تشعُّبا بالمتلقي عن مجرى الأحداث وشغلا لفكره بقضية الاعتذار الجانبية عن المقصود وهو سرد المواقف الثلاثة (السفينة - الغلام- الجدار).

وفي قوله تعالى چڭ ڭ ۇچ الروم:٣٠، التقدير: إذا شهدتَ آياتِ الله المذكورة وضَلالَ المعرضين عنها فأقم وجهك...، ومن غرض التعبير بالفاء الفصيحة هنا توجيهُ نظر المتلقي إلى المهم وهو الاستفادة مما سبق بتحصيل ثمرته وهي الاستقامة، ولهذا قال بعدها چې ې ېچ.

وفي قوله عز وجل چگ گ گ گ چ الضحى:٩، التقدير: عليك بشكر الله على عطائه فأما اليتيم...، وقد جاءت الفاء الفصيحة لتوجِّه النظرَ إلى مقتضَى الشكر لا إلى نفس فعل الشكر لأن أثرَه ومقتضاه - من نحو الرفق باليتيم والسائل - هو المطلوب الأهم.

وهذه الوظيفة - توجيه النظر إلى المذكور لأهميته - ظاهرةٌ في أكثر مواضع الفاء الفصيحة؛ وتأمَّل مثلا: قولَه تعالى چٹ ٹچ طه:٧٨ ، والتقدير: فسرى موسى بقومه فأتبعهم فرعون، وقولَه تعالى چو و ۉ ۉ ې ې ې ېچ القصص:١٢، والتقدير: فأظهرت أختُ موسى نفسها فقالت...، وقولَه تعالى چئ ئ ئ ىچ الصافات:١٠٢، والتقدير: فوُلد له وأَيفع الغلامُ وبلغ معه السعي فلما بلغ معه السعي. وتأمُّل ما سبق من مواضع الفاء

(١١٩) السيوطي ٢/٢٤٥، وانظر الشريف الجرجاني ٣٧٩.

الفصيحة يُظهر أنّ إبراز الحدث المهم (المذكور بعد الفاء) اقتضى استخدامَها لتسويغ غياب الأحداث التفصيلية الممهِّدة للحدث الأبرز.

نتائج البحث

انطلقت هذه الدراسة صوبَ غايةٍ من التحرير والتحليل يدلُّ عليها عنوانُها، وقد انتهَت من ذلك إلى نتائجَ تفصيلية، أبرزها:

- تحرير مفهوم الفاء الفصيحة.
- ضبط موقع الفاء الفصيحة بين أقسام الفاءات الكبرى، وتحرير العلاقة بينها وبين بعض أنواع الفاءات القربية منها (فاء جواب الشرط - فاء السببية - فاء التفريع).
- تحرير الوظائف النصّية الأساسية للفاء الفصيحة (الاقتصاد – السبك) ورصدُ طائفةٍ من وظائفها السياقية.

هذا، وإلى الله الوجهُ أنْ يفتح علينا وبنا وأنْ يرزقنا حسن الفهم ويهدينا إلى سواء السبيل!

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: الكتب العربية

[١] ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٧هـ). "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠ه.

[٢] الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت ١٢٧٠هـ). "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ ه.

[٣] الأنباري، كمال الدين، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ). "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين". ط١. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

[٤] براون، ج. ب. وج. يول. "تحليل الخطاب". ترجمة د. محمد لطفي الزليطني
ود. منير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
[٥] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ). "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.
[٦] التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت٧٩١هـ). "مختصر المعاني على التلخيص". ط١. قُم: منشورات دار الفكر، ١٤١١هـ.
[٧] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ). "البيان والتبيين". تحقيق: عبدالسلام هارون. ط٧. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
[٨] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ). "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة. د.ت.
[٩] ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت ٣٩٢هـ). "سر صناعة الإعراب". تحقيق: أحمد رشدي ومحمد فارس. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
[١٠]حبنّكة، عبد السلام حسن الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ). "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها". ط١. دمشق: دار القلم، ١٤٢٦هـ/ ١٩٩٦م.
[١١]حقي، أبو الفداء إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (ت ١١٢٧هـ). "روح البيان في تفسير القرآن". بيروت: دار الفكر، د.ت.
[١٢]أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ). تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
[١٣]دي بوجراند، روبرت. "النص والخطاب والإجراء". ترجمة د. تمام حسان. ط١. القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

[١٤]الرضيّ، محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ). "شرح كافية ابن الحاجب في النحو". تحقيق: د. يوسف حسن عمر. ليبيا: جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
[١٥]الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٣٨٤هـ). "معاني الحروف". تحقيق: د. عبد الفتاح شلبي. ط٢. جدة: دار الشروق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
[١٦]الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ):
أ) "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". ط٣. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
ب) "المفصل في صنعة الإعراب". تحقيق: د. علي بو ملحم. ط١. بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م.
[١٧]السجلماسي، أبو محمد القاسم بن محمد (ت بعد ٧٠٤هـ). "المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع". تحقيق: علال الغازي. ط١. الرباط: مكتبة المعارف، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
[١٨]أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ). "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
[١٩]السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦هـ). "مفتاح العلوم". ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
[٢٠]سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ). "الكتاب". تحقيق: عبد السلام هارون. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
[٢١]السيوطي، جلال الدين أبو بكر بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ). "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار"، حَاشِيةٌ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي. مكة: جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٥م.

[٢٢]الشريف الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ). "المصباح في شرح المفتاح". تحقيق: يوكسل جليك (رسالة دكتوراه في الأصل). استانبول، ٢٠٠٩م.
[٢٣]الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩هـ). "عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي"، حَاشِيةٌ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي. بيروت: دار صادر، د.ت.
[٢٤]طنطاوي، محمد سيد (ت ١٤٣١هـ). "التفسير الوسيط للقرآن الكريم". ط١. القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧-١٩٩٨م.
[٢٥]الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ):
أ) "التبيان في البيان". تحقيق: عبد الستار حسين زموط. رسالة دكتوراه. جامعة الأزهر: كلية اللغة العربية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
ب) "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب"، حاشية على الكشاف. تحقيق: مجموعة من الباحثين. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: كلية القرآن الكريم، ١٤١٣- ١٤١٦هـ.
[٢٦]ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت ١٣٩٣هـ). "التحرير والتنوير". تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
[٢٧]العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد (ت ١٠٣١هـ). "الكشكول". تحقيق: محمد عبد الكريم النمري. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
[٢٨]عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ). "النحو الوافي". ط١٥. القاهرة: دار المعارف.
[٢٩]ابن عبد ربه، شهاب الدين أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ). "العقد الفريد". ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ.
[٣٠]أبو عبيدة، معمر بن المثنى البصري (ت ٢٠٩هـ). "مجاز القرآن". تحقيق: محمد فواد سزگين. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ.
[٣١]عضيمة، محمد عبد الخالق (ت ١٤٠٤هـ). "دراسات لأسلوب القرآن الكريم". القاهرة: دار الحديث، د.ت.

[٣٢]ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن المصري (ت ٧٦٩هـ). "شرح ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط٢٠. القاهرة: دار التراث، دار مصر للطباعة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
[٣٣]العلوي، يحيى بن حمزة الحسيني الملقب بالمؤيَّد بالله (ت ٧٤٥هـ). "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز". تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي. ط١. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ.
[٣٤]أبو غزالة، إلهام، وعلي خليل حمد. "مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية دي بوجراند ودريسلر". ط٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
[٣٥]القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ). "إنباه الرواة على أنباه النحاة". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١. القاهرة: دار الفكر العربي، وبيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٢م.
[٣٦]الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤م). "الكليات". تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
[٣٧]ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان (ت ٩٤٠هـ). "أسرار النحو". تحقيق: د. أحمد حسن حامد. ط٢. دار الفكر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
[٣٨]المالقي، أحمد بن عبد النور (ت ٧٠٢هـ). "رصف المباني في شرح حروف المعاني". تحقيق: د. أحمد محمد الخراط. ط٣. دمشق: دار القلم، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
[٣٩]المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ). "الكامل في اللغة والأدب". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٣. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
[٤٠]المرادي، بدر الدين الحسن بن قاسم (ت ٧٤٩هـ). "الجنى الداني في حروف المعاني". تحقيق: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

[٤١]المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ). "نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء". اختصار الحافظ أبي المحاسن اليغموري (ت ٦٧٣هـ). تحقيق: رودلف زلهايم. ألمانيا: دار فرانتس شتاينر بفيسبادن للنشر، ١٩٦٤م/ ١٣٨٤ه.

[٤٢]ابن نور الدين، محمد بن علي الموزعي (ت ٨٢٥هـ). "مصابيح المغاني في حروف المعاني". د. عايض بن نافع العمري. ط١. القاهرة: دار المنار، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

[٤٣]ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ). "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق: د. عبد اللطيف الخطيب. السلسلة التراثية (٢١). ط١. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ثالثا: الكتب والدوريات الأجنبية

[44] Crystal D. “The cambridge encyclopedia of language”. Cambridge university press. n. d.

[45] Halliday, M. A. & Ruqaiya Hassan. “Cohesion in english”. London: Longman, 1976.

[46] Malmkjaer, Kirsten. “The linguistics encyclopedia”. London & New York: Routledge, 2006.

[47] Sanders, T. & Maat, H. P. “Coherence and cohesion: linguistics approaches”. Netherlands: Utrecht university, Utrecht institute of linguistics OTS, published by Elsevear 2006, vol. 99, 591-595.
Stable URL:
http://www.hum.uu.nl/medewerkers/h.l.w.pandermaat/coherence_doc/cohesionencoherence2006.pdf

[48] Stephen P. Witte & Lester Faigley. “Coherence, cohesion, and writing quality”. College Composition and Communication. Vol. 32, No. 2, Language Studies and Composing [published by National Council of Teachers of English]. May, 1981, 189-204.
Stable URL:
http://www.jstor.org/discover/10.2307/356693?sid=21105565700833&uid=3738952&uid=2&uid=4

Al faā Al-faṣīḥa, Specifications and Textual Functions: A sample of the Qur'ānic Text

Dr. Ahmed Musa Hamouda
Faculty of Arts and Human Sciences – Yanbu - Taibah University

Abstract. This paper deals with one type of Al faā120; Al faā Al-faṣīḥa that much found in Arabic. It tries to develop a framework for this faā, conceptually and functionally throughout answering two main questions: (1) what is the concept of Al faā Al-faṣīḥa? (2) What is the value of Al faā Al-faṣīḥa in the Arabic text?

In the first part, the account provides a vision for the definition of this faā, the reason for calling it Al faā Al-faṣīḥa, its location among the Arabic faās, and its relationship with the other similar faās.

In the second part, the research explores the functional roles of Al faā Alfaṣīḥa in-text, throughout the application on the Qur'ānic text. It concludes that this faā has two main textual functions: cohesion and economy. In addition to some other various contextual functions.

Key words: Al faā Al-faṣīḥa, the Qur'ān, economy, cohesion, text, context.

(120) Literally, *Al faā* is a letter that has a similar pronunciation to the English labiodental \f\. Technically, it is an independent element performing different functions such as, addition, conjunction, and causality.